بَلاغَةُ الخِطَاب القرآني (إِعْجَازٌ وَإِنْجَازٌ)

م.د. إحسان جودة كاظم البيرماني

المديرية العامة لتربية بابل

ahssanalbarmani@gmail.com

المُلَخصُ:

لا جَرَمَ أنَّ الخطابَ القرآنيّ المُقدّسَ يُمَثّلُ مَسَاحةً إعجازيّةً مطلقةً تتحدّى الإنسَ والجِنَّ على مجاراتِهِ والإتيانِ بمثلِهِ، هذا الخطاب الإلهيُّ لا تنقضِي عجائبُهُ ولا تفْنَى غرائبُهُ لا يَعْرفُ الجمودَ واليُبُوسةَ والارتكاسَ والانتكاس فهو حيٌّ نَشْرٌ عَبيرٌ رُوْحٌ في كُلّ زمانٍ ومكانٍ.

تأسيسًا على ذلك انبرى البحث لتبيانِ ثنائية الإعجاز والإنجاز في هذا الخطاب المُعْجِر، فهو مُعْجِزٌ من جهةِ لغتِهِ الحضوريّةِ المتفرّدةِ والكيْفيّاتِ والأداءاتِ المخصوصة التي انمازتْ عن غيرها.

جاء هذا البحث في مقدّمة وتَمْهيدٍ ومبحثين، انْعَقَد التَّمهيدُ بعنوان (بلاغة الخطاب القرآنيّ – مقاربةٌ تعريفيةٌ). وجاء المبحثُ الأوَّلُ بعنوانِ (إعجازيّة الخِطاب القرآنيّ). وحَضَر الثاني بعنوان (إنجازيّة الخطاب القرآني)

ثم خَتَمْنا البَحْثَ بمجموعةٍ من النَّتائجِ التي يكون مآلُها في نهايةِ البحث

الكلمات المفتاحية: (البلاغة، الخطاب القرآني).

The Eloquence of the Qur'anic Discourse (Miracles and Achievements)

Dr. Ihsan Joda Kazim Al-Birmani

General Directorate of Education of Babylon

ahssanalbarmani@gmail.com

Abstract:

There is no doubt that the sacred Qur'anic discourse represents an absolute miraculous space that challenges mankind and jinn to keep up with it and produce something like it. This divine discourse does not end its wonders and its oddities do not perish. It does not know stagnation, dryness, regression and setback. It is alive, spreading the fragrance of a spirit in every time and place.

Based on that, the research set out to clarify the duality of miracle and achievement in this miraculous discourse, as it is miraculous in terms of its unique

language of presence and the special methods and performances that distinguish it from others.

This research came in an introduction, a preface and two chapters, the preface was held under the title (The Rhetoric of the Qur'anic Discourse – An Introductory Approach). The first chapter was entitled (The Miraculousness of the Qur'anic Discourse). The second chapter was attended under the title (The Achievement of the Qur'anic Discourse).

Then we concluded the research with a set of results that will be at the end of the research

Keywords: (Rhetoric, Qur'anic Discourse).

المقدمة:

الحمدُ للهِ الذي جعل كتابه (القرآن الكريم) مُحْكَمًا مُفَصَلًا مُنْتَظِمًا مُفْجِرًا وصَلَّى اللهُ على الخطيب بالقُرْآنِ مَعْدِن الَخْيرِ ومِفْتاحِ الهدى والرَّشادِ محمّدِ المُصطفَى وَآلِهِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ وَخَزَنَتِهِ الطَّيِّبِينِ الطَّاهرينَ وعَلَى صَحْبِهِ المُنْتَجَبينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فالقرآن الكريم كتابُ اللهِ ﷻ الخَالدُ المُطلَقُ المؤسّسُ للنُّصوصِ، تتوارَدُهُ الأجيال جيلًا بَعْدَ جيلٍ سَخِيُّ المَوْرِدِ لا يَنْضُبُ ماؤُهُ على مَرّ الدُّهُورِ والأزمانِ.

وقد أنبرى علماءُ العربيةِ كافّةً باختلافِ تخصصاتِهِمْ وعُلُومِهِمْ إلى تَعَاهُدِهِ وتبنْيَانِ عُلُومهِ وإعجازيّتهِ ومَقَاصِدِهِ وحقائقِهِ أسْرَارِهِ ودَقائقِهِ ورَقائقِهِ.

تأسيسًا على ذلك كانت لدينا إسهامه في تبيانِ قَضِيَّتينِ محوريتينِ في هذا الخطاب المُعْجِز، تَتَّصِلُ ببلاغتهِ الجماليّة من جهة إعجازيّتِهِ وجهةِ إنجازيه.

هذا الصنيعُ تَطَالَب مِنَا الرُّجوعُ إلى مَصَادِرَ ومَرَاجِعَ ذاتِ صِلّة بالموضوع ولاسيما كُتُبُ الإعجازِ والتَّفسير واللُّغة وغيرها.

وقد اتَّبعنا المَنْهجينِ الوصفيّ والتَّحْلِيليّ، إذِ الأوَّل قائِمٌ عَلَى جَمْعِ المادَّة وتبويبها وتقسيمها بلحاظ الموضوعات التي لها مَسَاسٌ بالعنوان.

في حين قَامَ المنهجُ التَّحليليّ عَلَى تَحْليل الموضوعِ وتَفْسيرِهِ بقدرِ المُكْنةِ والوُسْع

وبَعْد جمْعِ المادّة واستقرائها شَرَعْنَا بِرَسْمِ خُطَّةِ البحْثِ، فجاءت في مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثينِ وخاتمةٍ بأهمّ النتائجِ إضافة إلى قائمةٍ بالمصادرِ والمراجع ذات الصِّلةِ بالموضوع.

جاءَا التَّمهيدُ معرِّفًا بـ (بلاغة الخطاب الْقُرآنيّ) من جهة التعريف بـ (البلاغة)، ثم تعريف (الخطاب).

وانْعَقَدَ المَبْحثُ الأَوَّل بعنوانِ (إعجازيّةِ الخِطاب الْقُرآنيّ) جاء في ثلاثةِ مطالب، هي الأول: الإعجاز في اللغة والاصطلاح. الثاني: الجذور الأولى للتَّفكيرِ في الإعجَازِ. الثالث: مُظَاهِرُ الإعجازِ البلاغيّ.

وانعقد المبحثُ الثَّاني بعنوانِ (إِنْجَازِيَّة الخَطَابِ الْقَرآن) وجَاءَ في مطلبين، الأوّلُ: الإنجازُ في اللغة والاصطلاح. الثاني. مَقاصِدُ إنجازيّةِ الخطاب القرآنيّ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمينَ وصلَّى الله على محمدٍ وآلهِ الطاهرينَ وعَلى صَحْبهِ المنتجبينَ.

التَّمهيُد: بلاغةُ الخطابِ القُرآنيّ (مقاربةٌ تعريفيّة):

في هذا التَّمهيد سنتحدثُ بإيجاز عنِ المركبِ الإضافيّ (بلاغه الخطاب القرآنيّ)؛ من أَجْلِ تكوين رؤيهٍ مقبولةِ البيانِ عَنِ المرادِ بـ(بلاغه الخطاب القرآنيّ) ابتداءً قَبْلَ الولوجِ في تبيانِ ثنائيّةِ الإعجاز والإيجازِ اللّتينِ انطوى عليهما هذا الكتاب المقدس.

أولًا: البلاغةُ تعريفًا:

البَلاغةُ مصدر على وزن (فَعَالة)، من الأصل الثلاثيّ (بلغ) قال ابن فارس (ت:٣٩٥هـ):((الباء واللَّام والغين اصلٌ واحدٌ وهو الوصول إلى الشيء؛ تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه. وتسمى إيضًا بالمشارفة بلوغا بحق المقاربة، قال تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) (الطلاق :٢) هي في اللّغة تنبئ عن الوصول والانتهاء)).

ويرى الراغبُ الأصفهانيُّ (ت ٥٠٢ هـ) أن البلاغةَ تُقَالُ على وجهينِ، أحدهما: أن يكون المتكلّم بليغًا بذاتهِ، فيجمع ثلاث صفات، صواب الموضوع، وطباق المَعْنى والصِّدْق النَّفْسيّ. والثاني: أن يكون بليغًا باعتبار القائلُ والمقول له [١]، قال تعالى :(وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) (النساء: ٦٣).

أما البلاغة في الإصلاح، فقد عّرفها كثيرٌ مِنَ البيانيّين، وسنصطفي بعضًا من هذه التَّعاريف.

١) قال الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ): ((لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك))[٢]

٢) قال عليّ بن موسى الرُّمانيّ (ت: ٣٨٦هـ) قال: ((وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن ي ؛ أي إيصال المعلومة بأقصر العبارات))[٣].

٣) قال السَّكاكِيُّ (ت: ٦٢٦هـ) البلاغة : ((بلوغ المتكلم في تأدية المعاني والاحاطة في خوض التراكيب)) [٤].

٤) و البلاغة عند القزويني (ت: ٩٣٧هـ):((هي بلاغة الكلام لمقتضى الحال)) [٥] ، وهو في هذا يصل البلاغة الى مستوى عالي كون مقامات الحال متفاوته.

يتضح بلحاظ ما سبق من تعريفات: ان البلاغة ليس بوجه واحد من البلاغة بل لها بلاغات متعددة متنوعة يعجز البليغ الفصيح على مجاراتها او الوصل اليها على وفق ما جاء به القرآن الكريم، وهذا فقط من جهة البلاغيين، غانيك عمن خاص بها، من المفسرين والأدباء والمثقفين من الذين تناولوا البلاغة.

ولابُدَّ من القَول: إنَّ البلاغة قامتْ على جدليهٍ ثنائيةٍ بين الشكل والمضمون وهذه الثنائية فرعت مباحثها إلى اتجاهات منها ما يهتم بالشكل او (البناء اللفظي) وما يتصل به من تناول للفظة المفردة وما يتصل به من بناء يتناول (الجملة) أو ما هو في حكم الجملة ومنها ما يهتم بصلة اللفظ بمعناه[٦]، وبهذا استقرت البلاغة على أنها ((مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته))[٧] فهي: ((صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب))[٨].

وبهذا يتضحُ أن البلاغة كان لها أثرٌ بدراسة الأسلوب الكلاميّ وتَحليله، مع العناية باللفظ والمعنى كما أن الخطاب في مفهومه المعاصر لا يختلف كثيرًا عما عَرفتهُ نظرية النظم في القدرة على استثمار اللغة في الطرائق المختلفة مع مراعاة مقتضى الحال[٩]

ثانيًا: الخِطَابُ القُرآنيّ تعريفًا:

الخِطَابُ القُرآنيّ مُرَكَّبٌ وَصْفيٌّ مؤلفٌ من ركنين رئيسينِ هما: الخطاب والقرآنيّ.

١- **الخطاب لغةً:**

مراجعة الكلام، وخَطَب الخطيبُ: سبب الأمر، والخُطبة: مصدر الخطيب. وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي فقال: خطب، ومن أراده قال: نكحٌ وجمع الخطيب خُطباء، وجمع الخاطب خُطّاب [١٠]. وخطَبتُ على المنبر خُطبة بالضم. وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا [١١].

(خَطَبَ): الخاء والطاء والباء أصل يدل به على الكلام بين اثنين يقال: خاطبه يخاطبه خطاباً والخطبةُ من ذلك، والخطبة الكلام المخطوب به[١٢].

والمخاطبةُ: مفاعلةٌ من الخطاب والمشاوَرَة [١٣]. قال الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ): ((خَطَبَ والخَطب: الأمر العظيم الذي يكثر التخاطب، قال ﷻ :(قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ) (طه:٩٥). وفصل الخطاب: ما يفصل به الأمر من الخطاب، وما يفصل بين الحق والباطل)) [١٤].

٢- **الخطابُ اصطلاحًا:**

هو توجيهُ الكلامِ نحو الغير للإفهام، فَصِحّةُ الخِطابِ الحقيقيّ منوطةٌ بوجود المُخَاطَب وقابليتهِ لتوجّه الخطاب إليه [١٥]. كذلك: هو الكلام الموجّه نحو الغير للإفهام، ومن المعلوم أنَّ ذلك مما لا يتحقّقُ إلا إذا كان توجيه الكلام الى الحاضر المتلفت [١٦]. وجاء تعريف الخطاب في معارج الأصول: ((هو الكلام الذي قُصدَ به مواجهةُ الغير)) [١٧] وعرف أيضًا: ((بأنَّه الكلام المقصود منه إفهام من هو مُتَهيّئُ للفَهمِ)) [١٨]. كذلك الخطاب: ((هو الكلام بين متكلّمٍ وسَامِعٍ)) [١٩].و ((الخطاب هو إظهارُ توجيهِ الكَلامِ نحو مَدْخُولِها بداعٍ من الدَّواعي)) [٢٠]. كذلك عُرّفَ: الخطابُ اللّفظُ المُتَواضَعُ عليه المقصودُ به إفهامُ من هو مُتَهيّئ لَفِهمهُ، ثم اعلم أنَّ خطابات القرآن على انحاء شتى، فكل خطاب في القرآن يُقَالُ فهو خطاب التشريف [٢١].

إنّ تلاقي المفهومين اللغوي والاصطلاحي فيه تأكيد على الدلالة السامية للخطاب الذي لا يتم على الوجه الأفضل إلا اذا اقترن بالحكمة وكان القصد منه تبيان وتوضيحه الحق على أكمل الوجوه وأتمها[٢٢].

٣- القُرآن الكريم:

هو الوَحْيُ الإلهيُّ المُنَزَّلُ منَ اللهِ تعالى على لسان نبيه الأكرم) ، فيه تبيان لكل شيء، وهو المعجزة الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة، وفيما حوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي) ، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه او على غير هدىَ [٢٣]. كذلك: هو سند الاسلام الحي ومعجزته الخالدة التي تحدت ولازالت تتحدى جموع البشرية على مر القرون، وهو نظام الإسلام الجامع لمبادئ الحياة الإنسانية كافَّه تجاوبًا مع الفطرة وانبثاقاً من صميم الإنسانية [٢٤].

بَعْدَ أن تَعرّفْنا على المراد من الخطاب والقُرآن الكريم ، حَانَ الحينُ أن نبيّنَ المَقصُودَ منَ الخطابِ القُرآنيّ فهو((الطريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه))[٢٥] ، وقد امتاز بخصائص ومزايا توافرت فيه جعلت له طابعًا معجزًا في لغته وبلاغته أفاض العلماء فيها بين مقلٍ ومكثرٍ، ووضعت كثير من الكتب فيها، ومع ذلك عجزوا عن الوفاء بحقه وان ما خفي عليهم فلم يذكروه هو أكثر مما ظهر لهم فذكروه، أما الاستقصاء والإحاطة بمزاياه وخصائصه على وجه الاستيعاب فأمر استأثر به منزله الذي عنده علم الكتاب، والإعجاز البلاغي شطر كبير من الموروث العربي الإسلامي لا يمر عصر إلا وتظهر فيه كتابات مبدعة تارة ومقلدة تارة أخرى وتتعاقب العصور وتتكاثر الكتب، دلالة على تواصل التفكير واشتداد الرغبة في الوصول إلى نتائج مقنعة.

ويُمْكُن القول: إن الخطِابَ الْقُرآنيّ هو التَّعبيُر أو الأداءُ أو النَّظم الإلهيُّ المتفرّد من جهة أصواتهِ وألفاظه وتراكيبهِ وسياقهِ وهداياته ومقاصِدِه وأسرارِه التي لا يسْمُو إليه أيُ خطاب بشريّ.

المبحث الأول: إعجازيةُ الخطَابِ القُرآنيّ

في هذا المبحث سنحاول أن نبيّنَ إعجازيةَ الخطابِ القُرآنيّ ولاسيّما في ظلال جهَة الإعجاز البلاغيّ، وبَدَا لنا أن يكونَ هذا المبحثُ في ثلاثة مطالبَ، الأول: الإعجاز في اللغة والاصطلاح، الثاني: الجذور الأولى في التفكير في الإعجاز. الثالث: مظاهرُ الإعجازِ البلاغِيّ

المطلب الأول: الإعجاز تعريفًا

أولًا: الإعجاز لغةً:

هو مصْدرُ الإفعالِ من الفعل (أَعْجَز)، إذ إنَّ مادة (عجز) تدل على مَعْنيين محوريّين، مما: الضَّعْف ومؤخرةَ الشَّئ ، وهذا ما رَصَدناهُ في بيانات اللّغويّين، يقال: : أَعْجَزَنِي فلانٌ إذا عجزت عن طلبه وإدراكه والعجز نقيض الحزم. وعجز يعجز عجزا فهو عاجز ضعيف، وعاجز فلان: حين ذهب فلم يقدر عليه [٢٦]. قال تعالى: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (العنكبوت:٢٠): العَجْزُ: الضَّعْفُ وأصله تأخُّر الشيء، والقُور عن فِعْله، وهو ضِدُّ القُدرة، وأعجزتُ فلانًا وعجزته وعاجزته، جعلته عاجزًا [٢٧]، قال تعالى :(يَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)(يونس:٥٣). وهناك الكثير من اللآي الكريم التي ورد وتردد فيها هذا اللفظ، معجزين (الذي ينبأ من تكراره على التقريع بالعجز والضعف)، منها في قوله سبحانه (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ)(النحل:٤٦)، كذلك :(وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (العنكبوت:٢٠)، قال ﷻ :(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ)(الزمر:٥١) ، وفي قوله تعالى: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)(الشورى:٣١). أما ما ذهب اليه ابنُ فارس (ت: ٣٩٥هـ) في بيان مادة (ع. ج. ز)، إذ افاد مما ذهب اليه سابقيه، ولم يخرج عما ذهب اليه فقال: العين والجيمُ والزاءُ أصلانِ صحيحان، يَدُلُّ أحُدهما على الضَّعْفِ، والآخر على مؤخر الشيء [٢٨]. ويبدو أن الأصلين يتعانقان في الوصول إلى الدلالة المرادة من الإعجاز وهي (قصور الشيء وتأخره).

ثانيا: الإعجاز اصطلاحًا:

عُرِّف الإعجازُ تعاريفَ عدّة، وقَدْ خَاضَ العلماءُ على مختلفِ تَخَصُّصاتهم في تبيان المراد منه، قال قطب الدين الراونديّ (ت ٥٧٣هـ): ((إتيان شئ وإيجاد ما يعجز عنه غير فاعله)) [٢٩]، كما أشار إليه تعالى في قوله :(يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (الحج:٧٣). الناظر في التعريف: يرى الراوندي ركز في تعريفهِ على قضيةِ التحدي في الإعجاز كما دلت على ذلك الآية الكريمة التي استشهد بها على الإعجاز. ونرصد تعريفًا للعلّامة الحليّ(ت٧٢٦هـ) :((المعجزة ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد، مع خرق العادة ومطابقة الدعوى لأن الثبوت

والنفي سواء في الإعجاز فإنه لا فرق بين قلب العصاء حية وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء))[٣٠] . يكشّف العلامة الحليّ في بيانهِ للمعجزة: هو تغير المعجزة التي تحدى بها الله سبحانه على يد انبيائه في كل مجال برع به ذلك الزمان. وعرفه الشريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ) بقوله :((الإعجاز في الكلام: هو أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق))[٣١] .نلحظ في التعريف هو بيان للبلاغة وليس للإعجاز، وبهذا يكون قد ركز على الجانب البلاغي للإعجاز من دون الجوانب الأخرى. فالقرآن ليس معجزاً من جهة البلاغة فقط، وإنما هو معجز من عدة وجوه في الكلام، وعند السيوطيّ (ت: ٩١١هـ): ((الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة، المقرون بالتحدي، وهي إما حسية أو عقلية))[٣٢]. وعرفه مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ) بقولهُ: ((الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد))[٣٣]. فالتحدي مستمر هنا على مدى الدهور. عجز الأجيال، الاعجاز ((هو المطابقة لما تقتضيه الأحوال، ومن ضرورة تجددها تجدد ما يطابقها)) [٣٤].

المطلب الثاني: الجذور الأولى للّتفكيرِ في الإعجاز:

إنَّ قضيّةَ إعجاز القرآن الكريم بدأت تَلْقَى حضورًا مُنْذُ أوَّل نزول الوَحْي المبارك على صَدر النبيّ محمد (ص) فمنذ أن تَلَا كلمات ربّه تعالى أدركتْ قريشٌ ما لهذا البيانِ القُرآنيّ من سلطة عُليا وإعجاز ساحرٍ، لا يمكن للبشر أن يَأْتُوا بمثله. ويبدو أنَّ أوّل اعترافٍ بيانيّ لهذا النصّ المعجز جاء على لسان أحد البيانيّين المشركين وهو الوليد بن المغيرة المخزوميّ حينما سَمِع آياتٍ من القرْآن الكريم، فقال قولته النقدية المشهورة : " والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله وليد ليصبأن قريش فقال أبو جهل إني أكفيكموه وقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا(ص) مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتحدث بما يتحدث به الكهنة وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا قالوا له فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما يقوله سحر يؤثر عن أهل بابل فتفرقوا متعجبين منه))[٣٥]. قالَ عبد القاهر الجرجاني(ت : ٤٧١هـ):((وذاك أنا إذا كنا نعلم أَن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت هي أَن كان على حدٍّ من الفصاحة تقصر عن قوى البشر ، ومنتهياً إلى غاية لا يُطمح إليها إلا بالفِكَرِ ، وكان محالاً أَن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب ، وعُنوانُ الأدب ، والذي لا يشكَ أنه كان ميدان القوم إذا تجاروْا في الفصاحةِ والبيان ، وتنازعوا فيهما قصب الرهان ، ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل وزاد بعض الشعر على بعض كان الصادُّ عن ذلك صادًّا عن أن تعرف حجة الله تعالى ، وكان مثله مثل من يتصدى للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى ، ويقوموا به ويتلوه ويُقرئوه ، ويصنع من الجملة صنيعاً يؤدي إلى أن يقل حفاظه ، والقائمون به والمقرئون له ، ذاك لأنَّا

لم نتعبد بتلاوتهِ وحفظهِ ، والقيام بأداء لفظه على النحو الذي أنزل عليه ، وحراسته من أن يُغَيَّر ويبدل إلا لتكون الحجة به قائمة على وجه الدهر ، تعرف في كلِّ زمان ، ويتوصل إليها في كل أوان ، ويكون سبيلها سبيل سائر العلوم التي يرويها الخلف عن السلف ، ويَأْثُرُها الثاني عن الأول))[٣٦] .

بَعْدَ ذلك بَدَأ التَّدوينُ المُسْتَقِلُ وغيُر المستقلِّ في الإعجازِ القُرْانيّ، ودُوْنل ثلاث رسائل في الإعجازِ، وهي (النكت في إعجاز القرآن) للرّمانيّ (ت: ٣٨٤هـ) ، والبيان في إعجاز القرآن للخطابيّ (ت: ٢٨٨ هـ) والرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجانيّ(ت: ٤٧١هـ) وكتاب(إعجاز القرآن) للباقلانيّ (ت :٤٠٣هـ) وكتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) لفخر الدين الرازيّ(ت:٦٠٤هـ) و(الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإيجاز) للعلويّ(ت:٧٤٩هـ) ، ومعترك الأقرن في إعجاز القرآن للسيوطيّ (ت:٩١١هـ) .

فضلا عن الكتب غير المستقلة التي أشارت إلى الإعجاز القرآني من نمو (المُغْني في أبواب التوحيد العدل) للقاضي عبد الجبار المعتزليّ (ت: ٤١٥هـ)، والبرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشيّ (ت: ٧٩٣هـ) وغيرها.

ولا بُدَّ من القول: إنَّ وجوه الإعجاز وجهاتِه، إذ لا يمْكُن إدراك هذا الإعجاز، وقد أوصلها السيوطيّ إلى خمسة وثلاثين وجهًا [٣٧].

إن الإعجاز القُرآنيّ لا يُمْكُنُ إدراكُهُ وتصوّرُهُ، والقولُ بوجهٍ واحدٍ أو جهة واحدة أو مجموعة من الوجوه قَوْل لأ يُحيط بإعجازية هذا الكتاب المقدس، فالإعجاز القرآنيّ صفة عالية في الكلام والمقاصد والتشريعات والهدايات والأخلاف والتربية، فمرتبتُه عالية سامية لا تَرْقى إليها المراتب ، بينها وما بين غيرها ما بين الخالق والمخلوق ، قال النبي الكريم) : ((فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه))[٣٨] ورغم ذلك فأن الجهود لن تغور للتزود من معينة والتبرك بتلاوته والبحث فيه ليبقى خالد تنهل من ينبوعه الهادر أقلام الباحثين والدارسين والعلماء المجدون.

أحدث القرآن الكريم ثورة كبرى في حياة العرب أولاً ثم في حياة المسلمين والعالم أجمع لأنه كتاب الله المجيد الذي سلم تماماً من التحريف، وحمل في خطابهِ تحديًا واضحًا للجميع، إذ أسهم جمع كبير من البلاغيين والدارسين في إثبات إعجازه قديماً وحديثاً.

المطلب الثالث: مَظَاهرُ الإعجاز البَلاغِيّ:

لا مراءَ للإعجاز البلاغِيّ مظاهرُ ومَعَالِمُ يمكن أن تُسْتَشْرَف وتُحْتذى في ظلال أهمّ المسائل المتّصلة بالبلاغة القُرآنيّةَ ، ومن أهمها.

أولًا: نِظَامهُ الصَّوْتيُّ في شَكْلِهِ وجَوْهرِه:

إن طريقة نَظم القُرآن الكريم جَعلتْ في تَلاوتهِ قوة الانبعاث للنَّفْسِ الشَّاعرة المكدودة من ضروب الموسيقى، على ما هو معروف من تأثيرها في النفس ليذهب بها المراح وكأنها تريد أن تسابق الحروف والأصوات المنبعثة من أفواه من يحدونها [٣٩]. فالترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف' ونقف عند هاتين الظاهرتين: معرفة الوقوف، وتجويد الحروف. الأول: الوقف، قال السيوطي :((باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر، لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل))[٤٠]. ولنأخذ كلمة ((نَعَمْ)) في موضعين من القرآن في حالتي الوقوف وعدمه: قال تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (الأعراف:٤٤) فالاختيار الفني الوقوف الطبيعي عند نعم، لأن ما بعدها غير متعلق بها، إذ ليس (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) في الآية من قول أهل النار. وفي قوله تعالى: (أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) (الصافات: ١٧-١٨) فالاختيار الأدائي عدم الوقف عند «نعم» بل وصلها بما بعدها، لتعلقه بما قبلها، وذلك لأنه من تمام القول وغير منفصل عنه[٤١]. لذلك عبر الزركشِيّ عن الوقف: ((فن جليل، وبه يعرف كيف آداء القرآن، وبه تتبيّن معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات)) [٤٢] . كما أن للوقف في كلام العرب أوجهاً متعددة، منها : السكون، والروم، والأشمام، والإبدال، والنقل، والأدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق [٤٣] وهذه المفردات كلّها مصطلحات فنية تتعلّق بالصوت، وتنظر إلى التحكم فيه، أو تعتمد على إظهار الصوت بقدر معين إذ تميز الخطاب القرآني باتساقٍ وائتلافٍ في حركاتهِ وسكناتهِ ومداتهِ وغُنّاته واتصالاته وسكناته اتساقًا عجيبًا وائتلافًا رائعًا يسترعي فيه الأسماع ويستهوي به النفوس بطريقة لا يمكن لكلام آخر أن يصل إليها سواء كان منظومًا أم منثورًا، فلا نجد ((نفرَة في المخارج ولا في النغم بل يتلاقى نغمها وتسهل مخارجها فلا تكون واحدة نابية عن أختها بل تتآلف وتتآخى في نسق واحد بحيث لا تبدو واحدة بنطق غير مؤتلف مع نطق تاليتها))[٤٤]. والقرآن ما ان تقرأه حتّى تحسَّ من حروفه وأصواتها وحركاتها ومواقع كلماته وطريقة نظمها ومداورتها للمعنى – بأنه كلام يخرج من نفسك، وبأن هذه النفس قد ذهبت مع التلاوة أصواتاً، واستحال كل ما فيك من قوة الفكر والحس إليها وجرى فيها مجرى البيان، فصرت كأنك على الحقيقة مطوي في لسانك. وأعجب شيء في أمر هذا الحس الذي يتمثل في كلمات القرآن أنه لا يسرف على النفس ولا يستفرغ مجهودها، بل هو مقتصد في كل أنواع التأثير عليها، فلا تضيق به ولا تنفر منه ولا يتخونها الملال. ولا تزال تبتغي أكثر من حاجتها في الترؤح والإصغاء إليه والتصرف معه والانقياد له[٤٥]. ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، ولو تدبرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيتها تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفةً مع أصوات الحروف، مُساوقةً لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذُب ولا تُساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي

استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذبَ شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة[٤٦].

ثانيًا: حسنُ الإيقاعِ وتَلاؤُمهُ:

هو أن يكون اللَّفظُ ملائمًا للمعنى كان اللفظ رقيقا ومثاله قوله تعالى:(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ)(التوبة: ٢١) وقوله سبحانه: (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (الصف:١٣) فانظر إلى هذه الألفاظ، كيف رقت وكان فيها من السلاسة ما لا يخفى، وإذا كان الموضع موضعا للوعيد والنذارة، وكان اللفظ جزلًا، ومثاله قوله تعالى: (وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا)(الأنعام: ٢٧)، وقوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)(القصص:٦٢) فانظر إلى التفاوت بين المقامين في الجزالة، والرقة، وكل واحد منهما ملائم للمعنى الذى جيء به من أجله، وهكذا تجد ألفاظ القرآن على هذه الصفة، وهذا إنما يدرك بالقريحة الصافية، والذوق السليم[٤٧] فالبلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه بخلاف ما أنت واجد من كلام البلغاء، فامتاز أسلوب القرآن برصف الكلام رصفًا متناسب الأجزاء مع تلاؤم الألفاظ والعبارات تلاؤمًا ترتاح إليه النفوس فنجد في الآية الواحدة تنوعًا يجذب نشاط السامع، تدخل الفاصلة القرآنية في الجانب الصوتي، فهي تلفت الانتباه إلى التناسب الصوتي بين آية وتاليتها، فتجذب النفس لسماعها، لأنه وجه من تأليف الحروف ونسق اللفظ فيها؛ وأنواع البلاغة إنما هي وجوه التأليف بين معاني الكلمات ، فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة، وما أنزله إلا الذي يعلم "السر" في السنوات والأرض. فإن طريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن، وتألفت لها حروف هذه الألفاظ، إنما هي طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، ولكنها ظهرت فيه أولَ شيء على لسان النبي) ؛ فجعلت المسامع لا تنبو عن شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بدٌّ من الاسترسال إليه والتوفر على الاصغاء، فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مَقطَعاً مَقطَعاً ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوة[٤٨] . ولعله كان أحد الأسباب التي جعلت الوليد بن المغيرة يقول بعد سماعه القرآن: ((إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو قول البشر))[٤٩] وهي من حس اللسان وحسن الأذن، فهي تحمل لنا الأثر الفطري لمتلقي النص ، ((الفاصلة تهدف في الغالب الأعم إلى نقل القارئ المستمع إلى جو الحديث، فهي إسهام في تهيئة جو الموضوع المتحدث عنه، وهذا نمط من أنماط الأثر النفسي للفواصل القرآنية))[٥٠]. فنسق الألفاظ إلى ألسنتهم، وتتوارد على خواطرهم، وتجري مع أوهامهم، وتستجيب فيهم لكل حركة من النفس لفظة المعنى الذي هو أصل هذه الحركة، ثم

لا تكون هذه اللفظة إلا كأنها خلقت لذلك المعنى خلقاً، وأفرِغت عليه إفراغاً، حتى لا يناسبه غيرها فيما يلتئم على لسان المتكلم، ولا يكون في موضعها أليق منها في مذهبه ولحن قومه وطريقة لغته[٥١]. فلما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعيانها متساوقة فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق.

ثالثًا: قِصَرُ الكلمةِ مَعَ الوَفاءِ بالمعنى:

تُعَدُ هذه المزيّةُ مِنَ المزايا المعجزة في القُرآن الكريم ، ولا تكاد تَظْهر اطرادًا في أي كتاب أو نص أدبيّ غير القرآن الكريم، إذ البليغُ من الناس لا يمكنه أن يأتي بحديثٍ لفظه قليل، ومعناه واف وإن ائتلفا في الموضع الواحد والموضعين، فمهما فخم بيان البليغ فإنه إذا ظفر باللفظ أضر بالمعنى، وإذا سَمَر بالمعنى أضر باللفظ، خلاف ذلك في القرآن الكريم إذ نجدها ميزة في كل جمل القرآن إذ نحفل ببيانٍ قاصدًا مقدرًا على حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية دون أن يزيد اللفظ على المعنى أو يقصر عن الانجاز بحاجات الخلق من هداية الخالق هذا مع تجلى المعنى في صورة كاملة لا ينقص منها شيء ، خذ من القرآن الكريم مقداراً من الكلام ثم أرجه بما يألفه من حديث البلغاء تجد ما يدهشك، ثم ابصر أي الحديثين امكن أخذه بالتنقيح أو الاستعاضة دون أن تخل بمعناه ؛ فمن المؤكد ستنتهي إلى هذه الحقيقة القائلة :(لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة) [٥٢] ، إذن الأصل في نظم القرآن الكريم أن تُعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها في الدلالة المعنوية ونزول كلماته منازلها على ما استقرت عليه من طبيعة البلاغة، قال تعالى:(فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(القصص:١٣) (كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها) وقيل : لمن يسر به قرة عين قال تعالى: (قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)(القصص:٩) .قيل : أصله من القر أي البرد ، فقرت عينه قيل : معناه بردت فصحت ، وقيل : بل لأن للسرور دمعة قارة ، وللحزن دمعة حارة ، وكذلك يقال فيمن يدعي عليه : أسخن الله عينه ، وقيل : هو من القرار والمعنى أعطاه الله ما تسكن به عينه ، فلا تطمح إلى غيره ولتعلم ان وعد الله حق [٥٣] . ننقل بهذا المضمار قول "خالد بن صَفْوان" وهو من فصحاء العرب المشهورين، كان يجالس عُمَر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، توفي نحو (١٣٣ هـ): ((خَيْرُ الكلام مَا طَرُفَتْ مَعَانيه، وشَرُفَتْ مَبَانِيه، والْتَذَّه آذان سَامِعِيه". عن لسان العرب في مادة "طرف))[٥٤] ، قال تعالى:(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(الاسراء: ٨٥) يقول : ((من علم ربي ، ليس من علمكم))[٥٥] فالكلام يأتي مبيناً على ان له جواباً فيحذف الجواب اختصاراً ، فتوصل الى تحديد موقع الايجاز من خلال المعنى العام في النص ، كما خرج الايجاز في النص القرآني الى غرض الامر ، فقد ورد الاختصار في الآية بطريقة بارعة اختار الباري عز وجل هذا اللون تخفيفاً لحدة القول من ناحية وتلطيفاً لأسلوب الخطاب من ناحية أخرى وفي قوله تعالى:(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)(الاسراء: ٢٣) يقول: ((معناه : وأوصي بالوالدين إحساناً، والعرب تقول: أوصيك به خيراً وآمرك به خيراً وكان

معناه : آمرك ان تفعل به ثم تحذف (أن) فتوصل الخير بالوصية وبالأمر)) [٥٦] . فلاختيار عناصر الموضوع قيمته في التأثير في النفس الإنسانية، فليس رونق اللفظ وحده هو الذى له السلطان على النفوس، ولكن لجوانب المعاني التي عولجت وعلاقتها بالعواطف الإنسانية والغرائز البشرية أثر في السيطرة على الأفئدة، وامتلاك جوانب القلب، بل إن السحر كل السحر إنما هو في المقدرة على انتقاء هذه المعاني، والمقدرة على حسن التعبير عنها.

ويرد المعنى فيه بألفاظ وبطرق مختلفة وبمقدرة فائقة وخارقة تتقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء.((القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه: من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول وتصوره تصور المشاهدَ، وتشكله على جهته حتى يحل نحل البرهان ودلالة التأليف ، مما لا ينحصر حسناً وبهجة وسناء ورفعة))[٥٧]. قال تعالى:(وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)(التكوير:١٨) ((فالقرآن يستعمل الألفاظ ذات الجرس الموسيقي الناعم الرخي، والسلس الموحي فالصبح حين ينتشر ضوؤه في الآفاق، ويبث الحياة في الطبيعة الهامدة الساكنة وفي الإنسان، يتخير له القرآن هذه اللفظة الهامسة الرقيقة المؤدية بجرسها لحركة الفجر الشفيقة المتئدة، فضلاً عن أدائها لذلك بما فيها من مجاز، وهي لفظة (تنفس)، فجرس هذه اللفظة الهامس ملائم لرقة الصبح))[٥٨]، فيكون تجاوب المتلقي واستجابته أشد.

رابعًا: تنّوعُ الخِطاب ورعاية حال السَّامعين:

مِنَ الخصائص التي انمازَ بها أسلوب القرآن ففي المواطن التي تستدعي الإطناب نجد القرآن يشقق ألوانًا تميل إليها النفس وينصت لها الوجدان... وفي المواضع التي تستدعي الإيجاز وتتطلب القصر... نجد القرآن قد احكم وضع اللفظ بازاء المعنى وأشار بالإشارة العابرة إلى ما لا يتناهى من المعاني السامية حتى يكاد السامع يخرُّ ساجدًا لهذا البيان الخلاب والأسلوب المشرق[٥٩] .

الإيجاز: هو تأدية المعنى بعبارة ناقصة عنه فرب قليل يغني عن الكثير. وهذا الباب دقيق المسلك، لا يرتقي إليه إلا ذوو الفصاحة والبلاغة[٦٠]. قال أحد النقاد: ((أحسن الكلام ما كان قليلة يُغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه))[٦١] . وأكثر ما يوجد الجيد منه في آي الذكر الحكيم ، قال سبحانه وتعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)(البقرة : ١٧٩) فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِل كان ذلك داعيا له قويا إلى أن لا يقدم على القتال، فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم، وفضله على ما كان عندهم أو جز كلام في هذا المعنى وهو قولهم: القتل أنفى للقتل[٦٢].من جهة إيجازه، فإن حروفه عشرة، وما قالوه أربعة عشر حرفا، ومن جهة سلامته عن التكرار، ومن جهة تصريحه بالمقصود، وهو لفظ الحياة، ومن جهة بلاغة معناه، فإن تنكير الحياة أعظم جزالة، وأبلغ فخامة، وغير ذلك من الأوجه التي تميز بها عن غيره[٦٣]. و قال تعالى:(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)(الأعراف:١٩٩)

فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق؛ لأن قوله: {خُذِ الْعَفْوَ} أمر بإصلاح قوة الشهوة فإن العفو ضد الجهل، وقوله: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِين} أمر بإصلاح قوة الغضب أي: أعرض عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافئهم ، على أفعالهم، هذا يرجع إليه منها. وأما ما يرجع إلى أمته فدل عليه بقوله: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} أي: بالمعروف والجميل من الأفعال، ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه فيما روي عنه: أمر الله نبيه J بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لها من هذه الآية [٦٤].

الإطناب: ((هو تأدية المعنى بعبارة تزيد عن مع وفائها بالغرض وإلا عد تطويلاً))[٦٥]. ومن فوائده أنه يثبت المعاني في الذهن ويكسبُها رونقاً وجمالاً كالوردة لا يبدو للناظرين حسنُها إلا بعد أن يتفتق كمها[٦٦].ومثاله قوله تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ)(البقرة: ١٣٦) فهذا وما شاكله فيه تفصيل بالغ وتعديد لمن يجب الإيمان به من الأنبياء، وما أوتوا من الكتب المنزلة على أتم وجه وأبلغه، ولو آثر إيجازه لقال: قولوا آمنا بالله وبجميع رسله وما أوتوا، لكنه بسطه على هذا البسط العجيب، لما فيه من وفائه بالإيمان بالله وبرسله وما اشتمل عليه من ذكر هذه الزوائد المؤكدة، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(البقرة: ١٦٤) فلينظر الناظر، وليحكّ قريحته بالتأمل البالغ فيما اشتملت عليه هذه الآية الباهرة من شرح عجائب هذه المخلوقات، واختلاف أنواع المكونات، وترتيبها على هذه الهيئة التى تعجز عن إدراكها القوى البشرية [٦٧].

فهو أسلوب يخاطب العقل والقلب معًا فيجمع بين الحق والجمال، إن الأساليب القرآنية المتنوعة عبرت عن ذوق المتلقي في كل عصر لما له من ارتباط بالخيال، فينتج لدى القارئ ردة فعل تؤدي إلى ((تحرك طبقات إرادية فيه، هي المتصلة بخياله، باستخدام المعلومات ترجع إلى الذاكرة، وتثير تصوراته الحسية))[٦٨].قال تعالى:(قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)(مريم:٤) لفظة (اشْتَعَلَ) تدل على انتشار الشيب في الرأس، كما ينتشر شعاع النار، وهو من أحسن الاستعارات[٦٩]. والاستعارة أجمل وقعاً حين سماعها، لأنها تمنح الكلام قوةً، وتكسوه حسناً ورونقاً، وفيها تثار الأهواء والإحساسات، فبلاغتها من ناحية اللفظ، وتركيبها ينسي التشبيه، ويحملك عمدًا على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

فالقُرآن سَطا ببلاغته جميع القوى البشرية، ليصل إلى هدفه: من تهذيب النفس، وحب العمل الصالح، والإيمان بالله واليوم الآخر؛ خذ مثلا قوله تعالى:(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ عَلِيماً) (النساء ٦٩- ٧٠). ألا تراه قد أثار فينا شعور الغبطة والابتهاج، حينما نخيل لأنفسنا أننا إن أطعنا الله والرسول، فسنكون رفقاء للنبيين والصديقين والشهداء

والصالحين. أو لا ترى أن هذا الشعور بالفرح جدير بأن يدفع المرء إلى الانقياد والطاعة: كذلك قوله تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (النساء ٤٧). تراه قد اتكأ على إثارة الخوف في النفس من أن تشوه الوجوه أو تطمس، أو أن تحل اللعنة بأصحابها، كما حلت بأصحاب السبت، وهذا الخوف، بما يحدثه في النفس من ألم، جدير أن يدفع الناس إلى التفكير العميق للتخلص من أسبابه، والخلوص من مأزقه، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بما أنزل الله. وقل مثل ذلك في قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء ٥٦). فأي رعب ينبعث في النفس، عند ما تتخيل أصحاب النار، وقد نضجت جلودهم، فبدلوابها جلودا غيرها، لا تلبث أن تنضج كرة أخرى، فتتبدل، وهكذا دواليك. وأي خوف شديد يملك المرء من هذا المصير المؤلم[٧٠].

ونلمح كذلك براعة الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر أن ورود الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر إنما يكون لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الانتقال، تفنناً في الحديث، وتلويناً للخطاب، وإيقاظا للسامع عن الغفلة، وتجديدًا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه إذ (لكل جديد لذة) وكما قيل إنه لا يصلح النفس إن كانت مصرفة ؛ إلا التنقل من حال إلى حال[٧١] . فالوثوب من معنىً إلى معنىً أو من حالةٍ إلى حالةٍ وثوبًا يُحرك النفس ويزيد في روعة المعنى، وهذا أكثر ما يكون فيما يطلق عليه البلاغيون فن الالتفات، المراد به نقل الكلمة من معنى إلى معنى آخر، كضم تاء أنعمت أو كسرها، أو نقلها إلى ما ليس له معنى كالدين بالدال بدل الذال. وخرج به ما لا يغير كالعالمون بدل العالمين، والحمد لله بضم الهاء، ونعبد بفتح الدال وكسر الباء والنون [٧٢]،ففي قول تعالى:(فَضَحِكَتْ فَبَشَّرنَاهَا) (هود:٧١)، هذا الانتقال في المعنى فبشرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة وهو مما قد يحتمله الكلام فهو يراعي المعنى في سياق الآية بان الضحك لا يسبق البشارة وانما هو نتيجة لها[٧٣] .كذلك روعة الانتقال في حث السامع وبعثه على الاستماع إذ أقبل المتكلم عليه وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة ، كقوله تعالى : (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (يس:٢٢) الأصل وإليه أرجع فنتقل من التكلم إلى الخطاب وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفًا وإعلاما أنه يريده لنفسه ثم انتقل إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله وايضا فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله تعالى أخرج الكلام معهم بحسب حالهم فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ومبدعه ثم حذرهم بقوله وإليه ترجعون ، وإنما ترك وإليه أرجع إلى وإليه ترجعون لأنه داخل فيهم ومع ذلك أفاد فائدة حسنة وهي أنه نبههم أنهم مثله في وجوب عبادة من إليه الرجوع[٧٤]

المبحث الثاني : إنجازيّةُ الخِطابِ القُرآنيّ

في هذا المبحث سنتكّلمُ على إنجازيّة الخطاب القُرآنيّ، بلحاظ ما ينطوي عليه من مَقَاصِدَ وهَدَاياتٍ وغاياتٍ وأهداف، وبَدَا لنا أنَ يكون في مطلبين، الأول: التعريف بـ (الإنجازيّة). والثاني: مَقَاصِدُ إنجازيّة الخطاب القُرآنيّ

المطلب الأول: الإنجاز تعريفًا

أولًا الإنجاز لغة:

النون والجيم والزاء أصل صحيح يدل على كمال شيء في عجلة من غير بطء [٧٥] . نجز الشيء بالكسر ينجز نجزًا، أي انقضى وفني. ونجز حاجته ينجزها بالضم نجزًا: قضاها. يقال: نجز الوعد، وأنجز حر ما وعد. والمناجزة في الحرب: المبارزة والمقاتلة [٧٦].

ويبدو أنّ المعنى المحوريّ للإنجاز هو القَضَاءُ وإتيان الأمر وإيقاعُهُ والإنجازية مصدر صناعي بإضافة (يّة) ، والذي يَدُل على التحديد والتخصصِ والإحاطة في الإيقاع والقضاء والإثبات .

ثانياً: الإنجاز في الاصطلاح مع تبيان مصاديقه في القرآنِ الكريم:

في ضوء الاستقراء لم يرد لفظ إنجاز في القرآن الكريم بهذا الرسم للكلمة، أنما ورد لفظ الإنجاز في كلام الله سبحانه وتعالى بتعابير أخرى مثل، الوعد والوعيد، الثواب والعقاب، ... وغيره من الألفاظ التي أنبأ بها سبحانه وتعالى عباده وأبلغهم إنجازها لهم، والمتمعن في التعريف اللغوي يلحظ لذلك ولم يخرج الإنجاز عن الوعد والقدرة على إكمال الشيء.

الإنجاز: هو الصيغة التعبيرية بمعنى إن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى يكمن فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى، فأنه يدرك أن هذا الخطاب المنطوق في هذا السياق بالذات، لا يصلح معه أن يؤخذ، على قيمته السطحية، ويعني أن هذا الخطاب يرمي الى معنى يحدده الموقف التبليغي في القرآن [٧٧]، قال تعالى:(وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ)(ق:١٤) .

وإنجازية القرآن: هي التي تكون مقرونه بالله سبحانه وتعالى بصدق وعيده وإنجاز وعده بالنصر لأوليائه أو بعثة العباد بعد الموت ، بأنه صاحب القدرة المطلقة التي لا حدود لها [٧٨] ، ذلك أن هذا المفهوم بمعزل عن إطلاق القول فيه، هو إنّما يُفيد تحقق ما وعد الله تعالى به، سواء في الدنيا أم في الآخرة، لأن وعده حق، كما في قوله تعالى : (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(القصص:١٣)،(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ)(غافر:٧٧)، قال الفراهيدي : ((الوعد والعدة مصدراً واسماً، فأما العدة فتجمع عدات والوعد لا يجمع، والموعد موضع التواعد وهو الميعاد، والموعد مصدر وعدته، وقد يكون الموعد وقتاً للعدة، والموعدة اسم للعدة))[٧٩] والميعاد لا يكون إلاّ وقتاً أو موضعاً، والوعيد من التهديد، أوعدته ضرباً ونحوه، ويكون وعدته أيضاً من الشر[٨٠]. (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)(الذاريات:٦٠) ، وجاء في الصحاح للجوهري، أن الوعد يستعمل في الخير والشرّ: يقال وعدته خيراً، وعدته شراً... فإذا أسقطوا الخير والشرّ قالوا في الخير الوعد والعدة، وفي الشر الإيعاد والوعيد، قال الشاعر: وإني وإن وعدته أو دعوته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي [٨١].

وإلى مثل هذا ذهب ابن منظور : وعده الأمر به عدة ووعداً وموعداً وموعدةً وموعوداً وهو من المصادر التي جاءت على مفعول ومفعولة...، وهو أي الوعد يستعمل في الخير والشر، كما قال الجوهري، فيقال وعدت الرجل خيراً ووعدته شرّاً وأوعدته خيراً وأوعدته شرّاً، فإذا لم يذكروا ، ومما أضافه ابن منظور إلى كلام أهل اللغة، هو تمييزه بين الوعد والوعيد من خلال الإشارة إلى الوعد بما هو عهد، قال تعالى: (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي)(طه:٨٦)،(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)(الذاريات: ٢٠-٢٢) قال: الموعد العهد، وموعدي عهدي، كما في قوله ، قال رزقكم المطر، وما توعدون الجنة، واليوم الموعود، هو يوم القيامة[٨٢] . إنّ ما تميّز به الراغب الأصفهاني في كتاب المفردات، هو أنه لم يخلط بين آراء أهل اللغة ليستظهر له المعنى، وإنّما جاء بالسياق القرآني ليدلّل على معنى الوعد والوعيد، فأورد الآيات التي تفيد الوعيد، منفصلة عن الآيات التي تفيد الوعد، وهذا من شأنه أن يمكّن الباحث من المناقشة والمعالجة للمواضيع بالاستقلال بعضها عن بعض، وقد بيّنا هذا في تمهيد الباب، حيث رأينا أن بحوث القدامى والمحدثين استقرّت على عنوان الوعد والوعيد في مبحث واحد، في حين مقتضى البحث العلمي في الرؤية الموضوعية لأساس موضوع قرآني يُراد معالجته أن يستقلّ البحث في الوعد عن البحث في الوعيد رغم وجود دواعٍ كثيرة لدراستهما في سياق واحد، إلاّ أنّ هذا لا يمنع أن نفصّل الكلام في الوعد الإلهي طالما أن مسار الآيات يأخذ طابع الهداية والتغيير، ويأتي الوعد الإلهي للإنسان لترغيبه في طريق الدعوة إلى الله تعالى والفوز في الدنيا والآخرة، وكذلك حال الوعيد، بما هو ترهيب في المآلات، وهذا ما سنفصّل الكلام فيه على النحو الذي يظهّر لنا الوعد والوعيد على أنهما لا يقتصران على تبصير الإنسان بمآلاته الأخروية، وإنما لهما هدف هو إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور وهدايته إلى الصراط المستقيم، الذي من شأنه أن يضمن للإنسان تحولاته الإيجابية والإيمانية، سواء في الدنيا أم في الآخرة. لقد أوضح الراغب في مفرداته أن المائز بين الآيات هو دلالة السياق، حيث قال تعالى:(قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)(الحج:٧٢)، (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)(هود:٨١)(فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)(إبراهيم:٤٧)، فهو وعد للرسل بالخير ومما تضمن الأمرين: قال تعالى: (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(يونس: ٥٥). فهذا وعد بالقيامة وجزاء بالعباد إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ.

ومن هنا نفهم الوعد الإلهي للإنسان، سواء أكان بمعنى الخير أم بمعنى الشر، الذي افدنا به من التعريفات السابقة، على أنه وعد دنيوي قبل أن يكون وعدًا أخرويًا، كما بيّنه القرآن الكريم من أحداث وتجارب في حياة الأنبياء كانت تتحقق فيها الوعود وهو الإنجاز والميثاق والمواعدة، فهو من الله حق لا ريب فيه، إن الوعد في ضوء الدلالة القرآنية بين أن يكون الوعد عهداً، أو مواعدة، في الخير أو في الشر، في الدنيا أو في الآخرة.

وقد حفل القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تبلغ المئات حول ما وعد الله تعالى به وأوعد عليه، فإنّ ذلك يمكن فهمه من سياق الدلالة القرآنية، لكون هناك الكثير من الآيات التي تضمنت الأمرين معاً وكل ذلك دلل على إنجازية الله سبحانه وتعالى إلى ما أوعد العباد به.

المطلب الثاني: مَقَاصِدُ إنجازيّة الخِطَاب القرآنيّ:

لا ريبَ أن القرآنَ الكريمُ تَصْغُرُ أمامهُ كلّ الكلمات وتتماهى في حضرته جميع الحوارات، الفصاحة والصرامة، اللين والشدة، القول الذي يعقبه الفعل، قال الجرجاني: ((اعلم أن الكلام هو الذي يُعطي العلومَ منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشفُ عن صُوَرها، ويجني صنوفَ ثَمَرها، ويدلُّ على سرائرها، ويُبْرِزُ مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان، ونبّه فيه على عِظَم الامتنان، فقال عزّ من قائل: " الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ، خَلَقَ الإنْسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ))[٨٣] . وللرافعي إحساس عظيم بمكنونات الكتاب الكريم حيث قال واصفاً القرآن الكريم: ((ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها))[٨٤] . فالبليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف إعجاز القرآن، وتكون معرفته حجة عليه، إذا تحدى إليه وعجز عن مثله، وإن لم ينتظر وقوع التحدي في غيره، وما لذي يصنع ذلك بالغير. – فهو ما روى في الحديث أن جبير بن مطعم ورد على النبي (ص) في معنى حليف له، أراد أن يفاديه، فدخل(ص) يقرأ سورة (الطور) في صلاة الفجر. قال تعالى:(وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ)، قال: فلما انتهى إلى قوله ﷻ (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)(الطور:٧-١٠)، قال : خشيت أن يدركني العذاب ؛ فأسلم[٨٥] . وقد روى أن قوله تعالى في أول (حم) السجدة إلى قوله سبحانه:(بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)(فصلت:٤) ؛ نزلت في شيبة وعتبة ابني ربيعة ، وأبى سفيان بن حرب ، وأبى جهل ، وذكر أنهم بعثوا هم وغيرهم من وجوه قريش، بعتبة بن ربيعة إلى النبي a ليكلمه، وكان حسن الحديث، عجيب البيان بليغ الكلام، وأرادوا أن يأتيهم بما عنده فقرأ النبي) سورة (حم) السجدة، من أولها حتى انتهى إلى قوله تعالى:(فإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (فصلت:١٣)، فوثب مخافة العذاب ، فاستحكوه ما سمع فذكر أنه لم يفهم ، منه كلمة واحدة ، ولا اهتدى لجوابه ، ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد. فقال له عثمان بن مظعون: لتعلموا أنه من عند الله، إذ لم يهتد لجوابه. وأبين من ذلك قول الله عز وجل:(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) (التوبة :٦) فجعل سماعه حجة عليه بنفسه، فدل على أن فيهم من يكون سماعه إياه حجة عليه [٨٦]. بلحاظ ما مر: ان كل من سمع القرآن آمن به وأدرك ان ما لهذا القرآن من قوه وعظمة البيان وسمو في النظم والتألف التي يعجز العرب وغيرهم الاتيان بما جاء.

كما إن القرآن الكريم اتخذ سبلًا عدة لأقناع الخصم ومن تلك القصص سبيلا للإقناع والتأثير، وضَمنَّ القصة الأدلة على إنجازيته ببطلان ما يعتقده المشركون وغيرهم، فما بين الوصف اللغوي، والبنية المتناسقة تتجلى الحوارات القرآنية

التي اختصت بالبلاغة والوضوح، وسلامة السبك ودقة التعبير، وعمق الفكرة، وحلاوة الإقناع لمن كان له لب حكيم، حيث أن الباطل يزهق وهو صغير، والحق يعلو وهو كبير، وما بين هذا وذاك تكون الحكمة والعقل الرشيد، ومن أوتي الرشد فقد أوتي الخير الكثير قال تعالى: :(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيم رُشْده مِنْ قَبْل)(الأنبياء :٥١). ولنأخذ قصة النبي إبراهيم g وما يميّزها أنها أبرزت كلمة التوحيد التي نزل بها القرآن الكريم، كما أوردها الأنبياء والمرسلون السابقون، عندما اعجزهم g بالحجة القاهرة، لم يجدوا مخلصًا إلا بإهلاكهِ فاختار القوم أن يكون إهلاكه بالإحراقِ. فيريد الله تعالى أن يجعل من هذه الحادثة برهانًا حقًا، وشاهدًا ساطعًا على إنجازيّة وإعجازيّة ألوهيّتهِ وربوبيّتهِ، فأمرَ الله سبحانه النار قائلا: (يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) . وبدأت المحاكمة: (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) (الأنبياء:٦٢-٦٣) إن في استفهام إبراهيم – عليه السلام– استهزاء من حال أقوامهم الذين تحدوها وألهوها فأبطل كل معتقداتهم الخاطئة بأن راغ عليهم ضربا باليمين فلسان الحال يصرّح بدلا عن قوله: ما بال أصنامكم لا تستطيع الدفاع عن نفسها؟ وإن كانت قاصرة على حماية نفسها، فكيف لها أن تحميكم أنتم عبدتها؟ فتفكروا وتدبروا في هذا الشأن. فثارت فيهم الحمية لنصرة آلهتهم، وطغى عليهم الجهل بدل المنطق والعقل، فأصدروا الحكم الظالم: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ)(الأنبياء:٦٨) فألقوه في الجحيم وما زالت قوة الحق وقوة الإيمان أقدر وأقوى من جبروت الظالمين وكيدهم فنصرهُ الله عليهم وخرق نواميس الكون وعناية الله عزّ وجلّ به ومده بمعجزاتٍ الإنجازيّة وسمات معينة، مما يدلل ذلك قوله تعالى:(وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)(البقرة :١٣٠). أي اخترناه لرسالتنا والبلاغ عنَّا، ومن ثم رفعنا شأنهُ وأعلينا مَقَامه [٨٧].

ولكونية الخطاب القرآني فقد أكد دور الحجة في الإقناع وبطرق مختلفة، فمنهم من يقنع بالفكرة عن طريق العاطفة وإيقاظ الشعور، فيهتدي، ومنهم من لا يذعن لغير البرهان المباشر وهذا ما لوحظ فيما سبق من احداث رافقت قصة النبي إبراهيم g ولذلك عُدَّ الخطاب القرآني خطابا انجازيًا فيما أوعد، إذ جاء ردًا على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، فهو يطرح أمرًا أساسيًا يتمثل في عقيدة التوحيد، ويقدم الحجج بمستويات مختلفة والمدعمة ضدّ ما يعتقده المتلقون من مشركين ومنكرين للنبوة والمجادلين [٨٨] . إما الإنجاز الذي يمكن رصده في قوله تعالى: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (القصص: ١٣) ذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أنه سيكون نبيا وذلك قوله تعالى: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بالمقام معه ، (لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) تعليل للرد و المراد بالعلم هو اليقين بالمشاهدة فإنها كانت تعلم من قبل أن وعد الله حق و كانت مؤمنة و إنما أريد بالرد أن توقن بالمشاهدة إنجازية الوعد الإلهي لها ، بدليل قوله: "و لكن أكثرهم لا يعلمون" أي لا يوقنون بذلك و يرتابون في مواعده تعالى و لا تطمئن إليها نفوسهم، و محصله أن توقع بمشاهدة حقيقية هذا الذي وعدها الله به أن مطلق وعده تعالى وتحقيق ذلك الوعد كما علمت [٨٩] . وعلى أثر لطف الله أحست أم موسى

بالاطمئنان، ولكنّها أحبت أن تعرف مصير ولدها، ولذلك أمرت أخته أن تتبع أثره وتعرف خبره (وقالت لأخته قصّيه). وعلى كل حال، فقد اقتضت مشيئة الله أن يعود هذا الطفل إلى أُمّه عاجلا ليطمئن قلبها(٩٠).

خاتمةُ البحثِ ونتائِجُه:

وَنْحنُ نَصِلُ إلى خاتمةِ البحثِ نَحمُدُ العليّ القدير عَلَى فَضلِهِ وآلائه، ولكلّ عَملٍ علمِيّ نتائجُ ومَقَاصِدُ، وقَد ظهرت لنا مجموعةٌ مِنَ النَّتَائج، وأهمّها: -

الأولى: حفّزَ القرآن الكريم على الملكاتِ الأدبية فأهتَّم به العلماء بالتفكّر والتَّدبّرِ به وكان الباعث الرئيس والموجه الحقيقيّ للعديد من الدارسات العلمية والممارسات المعرفيّة ولاسيّما البلاغية.

الثانية: بَدَا أنَّ تَدَبُّر القرآن الكريم والتَّفكرَ في أسلوبهِ ونظمِهِ ومَقَاصدِه وحقائقه، والنَّظر في بياناتِ المفسرين، يُشَعَرُ بالإعجاز وضخامة الحقائق والمقاصد، وهذا الشُّعُور والانبهار دليل على أن القرآن الكريم لا تَنْقضِي عجائبهُ ولاَ تْفنى غرائِبهُ، ومن ثمَّ فإن قراءاتِه لا تنتهي ولا تتوقف إلى يوم يبعثون.

الثالثة: ظَهَرَ لنا أنَّ ثنائيّةَ الإعجاز والإنجاز مقترنانِ بالخِطاب القُرْآنيّ، فالإعجاز لا يَنْفَكُّ عنه البتةَّ وسيبقَى على مرّ الدّهورِ والأزمانِ متصلاً بهذا الكتاب العزيز، إذ لَيْسَ بمقدور البَشر مهما أُوتي من سلطةٍ بيّانيةٍ، وبيانٍ عالٍ لا يمكُنهم الإتْيان بمثلِهِ ولو بسورةٍ واحدةٍ وهذا يكشف لنا أنَّ للقرآن أسلوبًا خارجًا عن حدُوْدِ التعليم والتعلم.

ويتجلّى الإنجازُ في مَقَاصدِةِ وأهدافِهِ وغاياتهِ ووسائلهِ وسنيةِ التي لا يمكن لأيّ خطابٍ مهما بَلَغَ شَأْوَه أنْ يماثله بل يصل إليه.

الرابعة: تبيّنَ لنا في ظِلَالِ الوقوفِ على بياناتِ علماء العربيةَ الاسيَّما المفسرون وعلماءُ الإنجازِ والبلاغيّونَ، أنّه مهما قيل من وجوه إعجازيّة ومظاهر بلاغيّة إعجازيّة، وما قيل من مقاصِدَ وسننٍ إلهيّة ندّت منهم، فإنَّ القُصُورَ أمارةٌ لها فضلًا عن نَفْي إدراك كُنْه إعجازِهِ ومقاصدِه إذ الإعجاز فيه مطلق.

الخامسة: أنَّ ما جَاءَ في البحثِ من مَظَاهِرَ وبياناتٍ تفسيريّه وإعجازيّة تُمثّلُ مقارباتٍ بيانّيةً تقريبيةً، فالقدرة البشرية عاجزةٌ على مجاراتِهِ وإعادتهِ بلغة بشرية، فهي محدودة والنصّ القرآنيّ المعجز مفتوحٌ.

السادسة: أنَّ قَضِيَّة الإعجاز القُرآن من جِهةِ بيانِهِ وكيفيّةِ تعّرفِ أسرارِه تارة وتعرف جِهَات إعجازِهِ ووجوهه كانت محطّ نَظَرٍ ومَوْضعَ اهتمامٍ من لَدُنِ علماءٍ من ذوي التَّخصصاتِ المتنوعة، وَقْد أبانوا عن مسائلَ مهمّة في هذه القضية المهمّة.

الهوامش:

١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن / ١٤٥.

٢) البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) ، ١/ ١٧ .

٣) النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني (ت: ٣٨٤هـ) / ٧٥-٧٦

٤) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)/ ٤١٥.

٥) الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني (ت:٧٣٩هـ) ١٦.

٦) ينظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب / ١٩٠.

٧) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٩/١.

٨) المصدر نفسه: ١٠/١.

٩) ينظر: ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة، عبد العزيز عبد الله محمد/ ٢١.

١٠) ينظر: كتاب العين، ٤/ باب الخاء- الطاء- الباء.

١١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،١/فصل الخاء.

١٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٢/ خطب.

١٣) ينظر: تاج العروس، ١/ فصل خطب.

١٤) ينظر: مفردات الفاظ القرآن/ خطب.

١٥) ينظر: العدة في اصول الفقه، الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ٣٥/١، ومنتهى الدرايه في توضيح الكفاية، محمد جعفر الجزائري، ٣ /٥٨٧.

١٦) ينظر: الحديقة الهلالية، الشيخ البهائي(ت: ١٠٣٠هـ)، ينظر: كفاية الاصول، محمد كاظم الخرساني (ت: ٣٢٩)/ ٢٢٩،و زيدة الأصول، محمد صادق الحسيني، ٣٤٧/٢.

١٧) معارج الأصول، جعفر بن الحسن الهذلي (ت: ٦٧٦هـ)/ ٤١٩.

١٨) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، ٩٥/١.

١٩) التحقق في كلمات القرآني الكريم، حسن المصطفوي، ٣/ مادة خطب، نزاهة النظر في غريب النهج والأثر، عادل عبد الرحم/ حرف الخاء.

٢٠) محاظرات في اصول الفقه (موسوعة الامام الخوئي)، تقرير: محمد اسحاق الفياض/ ٤٣٣.

٢١) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ٢/ حرف الخاء.

٢٢) ينظر: سمات الخطاب الإسلامي المعاصر، د. عصام الدين احمد البشير/ ١٧.

٢٣) ينظر: حقيقة الشيعة الاثنى عشرية، اسعد وحيد القاسم/ ٩٥، وهوية التشيع، د. احمد الوائلي/١٢٧، و كشف الحقائق، الشيخ علي آل محسن/ ٤٤.

٢٤) ينظر: علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم (ت:١٤٢٥هـ)/٥.

٢٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: ١٩٩/٢.

٢٦) ينظر: العين، الخليل بن احمد، ١ / ٢١٥. (باب العين والجيم والزاي)

٢٧) ينظر: الصحاح: الجوهري، ٨٨٣/٣. العين.

٢٨) ينظر، معجم مقاييس اللغة، ٤ / ٣٣٤. (باب العين والجيم والزاي)

٢٩) الخرائج و الجرائح /٣٧٧.

٣٠) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد/ ٤٧٤

٣١) التعريفات / ٣١

٣٢) الإتقان في علوم القرآن، ٣/٤

٣٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / ١٣٩

٣٤) تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٣هـ) ، ١٥ / ٢١٣.

٣٥) تفسير جوامع الحامع، الشيخ الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) ، ٣ / ٦٧٣ .

١) دلائل الإعجاز/ ٨ . ٩ .

٣٧) ينظر: معترك الأقراء في إعجاز القرآن،١/ ١٢ وما بعدها

٣٨) سنن الترمذي ، الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) ،٢٥٦/٤.

٣٩) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي/ ١٥٤.

٤٠) الاتقان في علوم القرآن: ٢٣٠/١.

٤١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٤٢/١. و الصوت اللغوي في القرآن ، د. محمد حسين علي الصّغير/ ١٠٥-١٠٦.

٤٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣٤٢/١.

٤٣) ينظر: الاتقان: ٢٤٨|١.

٤٤) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة: ١١٠.

٤٥)ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) /١٥٤.

٤٦) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي /١٥٦ .

٤٧ / ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ٣/ ٢٠٢.

٤٨) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/١٤٧-١٤٨.

٤٩) مجمع البيان الطبرسي، ١٩٢/٦ والفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي/ ١٩٠

٥٠) التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبد الله محمد الجيوسي/ ١٩١.

٥١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي / ١٣١.

٥٢) يظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي/ ٥٢ . وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي/ ١٥٥.

٥٣) ينظر: مرآة العقول في شرح اخبار الرسول o ، المجلسي، ٨ / ٢٠٣.

٥٤) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ) / ١٢- ١٣ .

١) معاني القرآن، الفراء، ١٣٠/٢، ٤٠٥/٢ .

٢) معاني القرآن، الفراء، ١٢٠/٢.

)٥٧إعجاز القرآن ، أبو بكر البقلانيّ(ت: ٤٠٣هـ)/ ٢٧٦.

٥٨) فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسرا لزيدي / ١٣٧.

٥٩) ينظر: التفسير الإعلامي للأدب العربي، د. محمد عبد المنعم خفاجي و د.عبد العزيز شرف/ ٢٥٤.

٦٠) ينظر: لإيضاح في علوم البلاغة ،٣/ ١٦٩.

) ٦١اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج/ ١٦٦.

٦٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، ١٨٣/٣ -١٨٤

٦٣) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ(ت: ٧٤٥هـ) ،٣/ ١٧٦ .

٦٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ، ١٨٢/٣.

٦٥) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،٣/ ١٧٦.

٦٦) ينظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج/ ١٦٧.

٦٧) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣/ ١٧٧.

٦٨) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل/ ٢٧٩.

٦٩) ينظر: التبيان، الطوسي، ٧/ ١٠٤.

٧٠ / ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)/ ٣٧

٧١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ) ، ٤/ ١٠. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي ،٣١٤/٣.

٧٢) ينظر: اعانة الطالبين، البكري الدمياطي (ت : ١٣١٠ هـ)، ١ / ١٦٤ .

٧٣) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٢٢/٢ .

٧٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ) ،٢/ ١٢٣. البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،٣١٥/٣-٣١٦.

٧٥) ينظر: معجم مقاييس الغة، ابن فارس ، ٥ / ٣٩٣ باب النون والجيم الزاي

٧٦) ينظر: الصحاح، الجوهري ،٣ / ٨٩٨ باب النون.

٧٧) ينظر: المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، د . محمد العبد / ١٥ .

٧٨) ينظر: التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي ، ٢ / ١٦٦٣.

٧٩) العين ،٢ / ٢٢٢ باب باب العين والدا ل و وما معها.

٨٠) ينظر: المصدر نفسه.

٨١) ينظر: الصحاح، ٢ / ٥٥ باب الدال.

٨٢) لسان العرب، ٣/ ٤١٦ فصل الواو

٨٣) اسرار البلاغة / ٣.

٨٤) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي / ٢٨١

٨٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ، ٢ / ١٠٦.

٨٦) ينظر: اعجاز القرآن، الباقلاني / ٢٧ .

٨٧) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٢٣ / ١٤٤.

٨٨) ينظر: البلاغة القرآنية – أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ،١/ ٢٧٤.

٨٩) ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي ، ٧/ ٣٨٠ . مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي (ت: ٧١٠هـ) ، ٢/ ٦٣٢ . تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ١٦/ ٦

٩٠) ينظر: تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ١٨٦/١٢- ١٨٧.

المصادر والمراجع:

١) . القرآن الكريم.

٢) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي (ت: ٦٣١هـ) تح: عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، الرياض- المملكة السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣) أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، تح: أبو الوفا الافغاني الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٤) اعانة الطالبين، البكري الدمياطي (ت: ١٣١٠ هـ)، مطبعة، دار الفكر، بيروت . لبنان، ط١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧م.

٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٨، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

٦) اعجاز القرآن، الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تح، احمد صقر، المطبعة، دار المعارف، القاهرة . مصر، ط٢ ، د . ت.

٧) الامالي، الشيخ الصدوق (ت: ٤٣٦هـ)، تح، محمد بدر الدين النعساني، طبع ونشر، مكتبة، أية الله المرعشلي، ط١ ، ١٩٠٧م

٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م .

٩) الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، محمد بن عبد الرحمن بن عمر المعروف: بالخطيب القزويني (ت:٧٣٩هـ)، المطبعة: أمير – قم، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

١٠) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح، محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة، دار الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٥٧م.

١١) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٢) البلاغة القرآنية – أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ، مطبعة ، دار القلم – دمشق، ط٣، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٣) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

١٤) تاج العروس من جواهر القاموس: ابو الفيض محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د-ت .

١٥) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ، مطبعة ، هنداوي – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٣هـ- ٣٠١٣م.

١٦) تحف العقول عن آل الرسول a، ابن شعبة الحراني (ق٤ هـ)، تح: علي أكبر غفاري، الطبعة، مؤسسة النشر الاسلامي، قم . ايران، ط٢ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٣م

١٧) التحقق في كلمات القرآني الكريم، حسن المصطفوي، مطبعة جلبخانه كاديان، إيران، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.

١٨) التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبد الله محمد الجيوسي، دمشق، دار الغوثائي للدراسات القرآنية، دمشق . سوريا، ط٢، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٧م.

١٩) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ، تح: جماعة من العلماء ، المطبعة :دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢٠) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) ، تح: جماعة من العلماء ، المطبعة :دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢١) تفسير القرآن العظيم، ابو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تح: هشام بن عبد الكريم الموصولي، دار الكتاب الثقافي، اربد– الاردن، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

٢٢) تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، مطبعة، مؤسسة النشر الاسلامي، قم . ايران، د . ت.

٢٣) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، تح، مؤسسة النشر الإسلامي، المطبعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١ ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

٢٤) الحديقة الهلالية، الشيخ محمد بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي (ت: ١٠٣٠هـ)، تح: علي الموسوي الخراساني، المطبعة مهر، قم– إيران، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٢٥) حقيقة الشيعة الاثنى عشرية، اسعد وحيد القاسم، المطبعة مهر، قم– ايران، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٢٦) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تح، مؤسسة الامام المهدي (عج)، المطبعة، العلمية . قم . ايران، ط ١، المنقحة، ١٤٢٣هـ .

٢٧) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء، اخوان الصفا (ت: ق٤)، دار صادر، بيروت . لبنان ،١٩٥٧م.

٢٨) زبدة الأصول، محمد صادق الحسيني الروحاني، المطبعة امير، قم– إيران، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م

٢٩) سمات الخطاب الإسلامي المعاصر، د. عصام الدين احمد البشير، مجلة المنبر، تصدر عن هيئة علماء السودان، العدد الخامس، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣٠) سنن الترمذي، الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) تح: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

٣١) الصناعتين، الكتابة والشعر، أبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) ، تح:علي محمد بجاوي ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت ، ط١ ، د–ت.

٣٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ(ت: ٧٤٥هـ) ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت ، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م

٣٣) ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة، عبد العزيز عبد الله محمد، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة الموصل، ١٩٩٩ م .

٣٤) عالمية الخطاب القرآني دراسة تحليلية في السور المسبحات الخمس، مصطفى جابر فياض العلواني، المعهد العالمي للفكر الاسلامي الولايات المتحدة، مكتب التوزيع العربي، بيروت – لبنان ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

٣٥) عالمية الرسول a والرسالة عن عولمة الحضارة الغربية: أ.م.د.حسن عبد الغني الاسدي ، مجلة العميد العدد الخاص ٢ السنة الثانية ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م. دار الضياء ، العراق النجف الاشرف ، الامانة العامة للعتبة العباسية.

٣٦) العدة في اصول الفقه (عدة الاصول)، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تح: محمد مهدي نجف، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة، قم- إيران، د–ت.

٣٧) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، (الدكتور) صلاح فضل، مؤسسة مختار . مصر . القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٣٨) علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، الناشر: مؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس، ليبيا، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٣٩) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم (ت:١٤٢٥هـ)، مؤسسة الهادي للطباعة، قم- ايران، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٤٠) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تح: الدكتورة مهدي المخزومي ـ الدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دت.

٤١) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٤٢) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي . بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٤٣) فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي ، جامعة الموصل ، العراق ، ١٩٨٧م.

٤٤) القاموس الفقهي، د. سعدي ابو حبيب، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م

٤٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، الناشر، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٤٦) كشف الحقائق، الشيخ علي آل محسن، دار الميزان، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤٧) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي (ت: ٧٢٧ هـ)، تح، إبراهيم الزنجاني، المطبعة، اسماعليان، قم . إيران، ط٤ ، ١٩٧٢م.
٤٨) كفاية الاصول، الأخوان محمد كاظم الخرساني (ت: ٣٢٩)، تح: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، مطبعة مهر، قم- إيران، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٤٩) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج ، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر - دمشق ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
٥٠) مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٥١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٥٢) مختصر المعاني اسعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ)، مطبعة القدس، قم- إيران، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م
٥٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي ومحيي الدين ديب، الناشر: دار الكلم الطيب- بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٥٤) مرآة العقول في شرح اخبار الرسول، العلامة المجلسي (١١١١هـ)، تح، سيد مرتضى العسكري، المطبعة، مروي، قم . إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٣م.
٥٥) معارج الأصول، لابي القاسم القاسم جعفر بن الحسن الهذلي (ت: ٦٧٦هـ)، تح: محمد حسين الرضوي، مطبعة عبد الشهداء، إيران، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
٥٦) معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، د. يوسف محمد رضا، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٥٧) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، مصر الجديدة- مصر، د- ت.
٥٨) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين احمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٥٩) المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، د. محمد العبد، مطبعة، دار الفكر العربي، ط١ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٤م.

٦٠) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت: ٦٢٦هـ)، تح: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٦١) مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، دار القلم، دمشق.

٦٢) من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ) ، الناشر: نهضه مصر – القاهرة ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٦٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فواز احمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٠م

٦٤) منتهى الدرايه في توضيح الكفاية، السيد محمد جعفر الجزائري المروج، مطبعة النجف الاشرف، العراق، ط٦، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

٦٥) نزاهة النظر في غريب النهج والأثر، عادل عبد الرحمن البدري، مظومة، عنزت، قم- ايران، ط١، ١٤٢١-٢٠٠٠م .

٦٦) النقد الأدبي في آثار أعلامه، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والطباعة والنشر، بيروت . لبنان، ط١ ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م.

٦٧) النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ) ، تح : محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، الناشر: دار المعارف – مصر ، ط٣ ، ١٩٧٦م.

٦٨) هوية التشيع، د. احمد الوائلي، دار الصفوة، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٦٩) ينابيع الأحكام، علي الموسوي القزويني (ت: ١٢٩٨هـ)، تح، علي العلوي، المطبعة، مؤسسة النشر الإسلامي، ايران، ط١، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.